الإعجاز الاقتصادي

في هَدْي الرسول ﷺ

إعداد

دكتور حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

بطاقة التعريف بالكتاب

الكتـــــاب : الإعجاز الاقتصادي في هدي الرسول ﷺ

المؤلـــــف : دكتـــور حـــسين شـــحاتة

الأســـتاذ بجامعـــة الأزهـــر

خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

رقـم الطبعـة : الأولى

تاريخ الإصدار : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الناشـــــر : دار النشر للجامعات

التوزيــــع: - دار النشر للجامعات

- المؤلف: ت ٢٦٠٩٠٢٨ ف٢٦٣٢٦٣٣

رقـم الإيـداع : ١٩٤٨/ ٢٠٠٥

الترقيم الـدولي: ISBN: 997-316-147-1

الكـــود : ٣٣٨/ ٣

الإهداء

* إلى الذين لبوا النداء ، وأجابوا الدعاء ، وحملوا لواء الدعوة إلى الإسلام الصحيح .

* إلى فقهاء الإسلام الذين استنبطوا الأحكام والمبادئ الشرعية للمعاملات الاقتصادية المعاصرة من مصادر الشريعة الإسلامية .

* إلى علماء وخبراء الاقتصاد الإسلامي الذين قادوا تجربة التطبيق رغم الصعاب الجسام .

إلى هؤلاء جميعًا

أهدي ثواب هذا الجهد داعيًا الله أن يتقبل من الجميع صالح الأعمال .

دكتور حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

آيات قرآنية وأحاديث نبوية

عن الاقتداء برسول الله ﷺ

قال الله عز وجل:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠ ﴾ [النساء: ٨٠] .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾[الحشر: ٧] .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤] .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

قال رسول الله ﷺ :

* «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي» [رواه البخاري] .

* «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» [رواه الترمذي] .

* « رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى ، وإذا اقتضى» [رواه البخاري] .

* «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ... الحديث» [رواه مسلم] .

* «رحم الله امرأ اكتسب طيبًا، وأنفق قصدًا، وقَدَّمَ فضلاً ليوم فقره وحاجته» [عن عبادة بن الصامت] .

نداء

إلى الإسلام: أيها الحائرون في بيداء الحياة ، التائهون في ظلام الليل البهيم .

إلى الإسلام: أيها الراغبون في علاج المجتمع من أمراضه وآلامه وإنقاذه من بؤسه وشقائه .

إلى الإسلام: أيها الواقفون على باب الإصلاح لا تدرون أي طرقه تسلكون ولا في أي سبله تسيرون .

إلى الإسلام: يا من اختلطت عليهم الوسائل واضطربت في قلوبهم الغايات فلم يجدوا الهدف ولم يتخيروا الوسيلة .

إلى الإسلام: الهادي المشرق المستنير الذي يحمل رحمة الله إلى الأرض .

إلى الإسلام: أيها العاملون المخلصون .

إلى هؤلاء أوجه النداء القرآني:

﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

استهلال

كان رسول الله ﷺ مدرسة جامعة لكل جوانب الحياة ، ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها قولاً وعملاً ، مبدأً وفعلاً، منهجًا وسلوكًا ، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جميعًا ، فقدَ بلّغَ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ضال .

لقد قدم رسول الله ﷺ الأدلة اليقينية بأن الإسلام دين شامل ومنهج حياة ، فهو عبادات ومعاملات ، وشعائر وشرائع ، وماديات وروحانيات ، ولقد أوصانا بذلك فقال ﷺ : **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي»** [رواه البخاري] .

ومن يدرس حياة الرسول ﷺ يجد فيها منهجًا اقتصاديًا

متكاملاً ، يقوم على مجموعة من الأحكام والمبادئ العلمية والنماذج العملية ، والضوابط الشرعية والتي تمثل الإطار الفكري والعملي للاقتصاد الإسلامي ويعتبر ذلك إعجازًا في نظر العديد من علماء وأساتذة الاقتصاد على اختلاف مذاهبهم وأيدلوجياتهم ، لأنه يمثل الفطرة السليمة السوية التي فطر الله الناس عليها .

ويطالب كثير من كُتاب ومُفكري النظم الاقتصادية الوضعية [الاشتراكية والرأسمالية] الآن بتطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي ، وهذا واقع لا ينكره إلا جاحد، ولاسيما بعد فشل النظم الوضعية في تحقيق الحياة الرغدة بشقيها المادي والمعنوي للناس .

ومن الإعجاز الاقتصادي الذي نستنبطه ونستقرئه من هدي الرسول ﷺ أنه يشتمل على حلول سليمة لموضوعات

ومسائل وقضايا اقتصادية معاصرة وذلك من المنظور الإسلامي والتي نحن في أشد الحاجة إليها لإنقاذ البشرية مما تعانيه من بؤس وشقاء ، وظلم وطغيان ، واستبداد واستعباد، واعتداء على حقوق الناس ومنها الحقوق الاقتصادية .

وفي هذا الكتيب نعرض قبسًا من الإعجاز الاقتصادي في هدي الرسول ﷺ ، لنأخذ منه الدروس والعبر لمن أراد التفقه في هديه ﷺ ، ولمعالجة المشكلات الاقتصادية على المستوى الفردي وعلى مستوى الأسرة وعلى مستوى الوحدات الاقتصادية ، وعلى مستوى الدولة .

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الجهد صالحًا مطابقًا للشرع ، وخالصًا لوجه الله تبارك وتعالى ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

من معالم الإعجاز الاقتصادي في الأحاديث النبوية

يضيق المقام عن بيان جميع معالم الإعجاز الاقتصادي المستنبطة من هدي الرسول ﷺ والمستقرأة من حياته ولكن نذكر فيما يلي بعض النماذج ليُهتدي بها في إثراء الفكر الاقتصادي الوضعي .

* الإيمان بضمان الله الرزق للمخلوقات

يؤكد الرسول ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى كفل الرزق لجميع المخلوقات ، ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها ، فقال رسول الله ﷺ : **«لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ،**

خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم» [رواه البيهقي وابن ماجة] ، ولقد حث الرسول ﷺ الناس على السعي في طلب الرزق مع تجديد النية والتوكل على الله ، كما أمر الرسول ﷺ بإتقان الأخذ بالأسباب والأساليب التي سخرها الله لعباده لجلب الأرزاق ، فقال ﷺ: **«الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهو أحق الناس بها»** [رواه ابن النجار] .

وهذا المفهوم الذي يربط بين الإيمان والتوكل على الله وإتقان الأخذ بالأسباب غير وارد في النظم الاقتصادية الوضعية المادية العلمانية والتي تفصل بين الاقتصاد والإيمان والأخلاق .

* الحض على العمل الشريف

حض الرسول ﷺ على السعي والضرب في الأرض ابتغاء الرزق ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، ولقد قال

ﷺ: **«لأن يحتطب أحدكم على ظهره خيرٌ له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه»** [رواه البخاري] ، وقال ﷺ: **«إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها الصلاة ولا الحج ولا العمرة ، ولكن يكفرها الهموم في طلب العيش»** [رواه أبو داود] ، وشارك الرسول ﷺ في حفر الخندق وجمع الحطب ، وكان يأكل من كسب يده ، وحض الناس على العمل وقال ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ... الحديث»** [رواه البخاري] ، كما عمل ﷺ بالتجارة في مال السيدة خديجة ، وكان يوصف بالصادق الأمين . وهذا يؤكد المفهوم الاقتصادي أن للتجارة دور هام وفعال في النشاط الاقتصادي .

كما يدعو هذا المفهوم الاقتصادي إلى تحفيز الناس على العمل وعدم التواكل أو الاعتماد على السؤال والتسول ،

كما يقود إلى تحقيق التنمية الشاملة ، وهذا ما تحاول النظم الاقتصادية الوضعية الوصول إليه .

* الحض على إتقان العمل

لقد حض رسول الله ﷺ على إتقان العمل وتحسينه ، واعتبر ذلك من الواجبات الدينية التي يحبها الله ورسوله ، فقال ﷺ: **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»** [رواه البيهقي] ، وأعطى نماذج عملية في الإتقان فقال ﷺ: **«إن الله كتب الإحسان في كل شيء ، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته»** [رواه مسلم] .

ولقد سبق رسول الله ﷺ علماء الإدارة والاقتصاد في هذا الزمن الذين ينادون بالجودة والرقابة عليها ، ويعتبر الباعث والدافع والحافز على ذلك هو الفوز بحب الله

ورسوله ﷺ ، وبربط هذا المفهوم الاقتصادي بين المنافسة في تحقيق الجودة وبين العائد المعنوي والتعبدي الروحاني وهو تحقيق رضا الله ورسوله ﷺ ، هذا بالإضافة إلى أن عنصر العمل يعتبر من أهم عناصر الإنتاج وأن الإنسان هو أساس التنمية .

* الحض على طلب الكسب الحلال الطيب

أمر الرسول ﷺ بأن يكون الكسب حلالاً طيبًا ، فقال ﷺ: «**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم**» [رواه أحمد والترمذي]، كما أمرنا أن نتجنب الكسب الحرام الخبيث فقال ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ ، ثم ذكر**

الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام ، فأنى يُستجاب له؟» [رواه مسلم] ، كما أمرنا أن نتجنب المشتبهات حتى نبرأ لديننا وعرضنا ، فقال ﷺ: **«إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب»** [رواه البخاري] .

ومن الإعجاز الاقتصادي في هذه الأحاديث الشريفة حث الإنسان المسلم على العمل الحلال ليكون الكسب

حلالاً وتجنب المعاملات المحرمة ، ولقد توصل علماء الاقتصاد المعاصر إلى أن مجالات العمل المحرمة لا تحقق التنمية وأعطوا أمثلة لذلك منها: المعاملات في الخمور وما في حكمها ، والمعاملات في المقامرات (الميسر) والمضاربات على الأسعار ، وكذلك صناعة وتسويق الدخان ومشتقاته ، وما في حكم ذلك من الأمور التي تذهب العقل وتضر البدن .

ومن البواعث الذاتية على تطبيق هذا المفهوم الاقتصادي هو أن العمل عبادة ، وحتى تقبل هذه العبادة يجب أن يكون مجال العمل حلالاً ليكون الكسب حلالاً ، ولقد أكد علماء الاقتصاد الوضعي أن الكسب عن المصادر غير المشروعة (الحرام) يعتبر تبديدا للموارد ويعوق التنمية .

* وجوب الالتزام بالأخلاق الفاضلة في التجارة

لقد أمر الرسول ﷺ بضرورة الالتزام بالأخلاق الحسنة

الفاضلة بصفة عامة وفي المعاملات بصفة خاصة ، ولقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن منها قوله ﷺ : « **التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**» [رواه الترمذي] وقوله ﷺ: «**رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع ، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى**» [رواه البخاري] .

كما نهى رسول الله ﷺ عن سوء الأخلاق في المعاملات التجارية ، فقال ﷺ: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فُجّارًا إلاّ من اتقى وبر وصدق**» [رواه الترمذي] ، وفي نفس المعنى يقول ﷺ في حديث آخر: «**إن التجار هم الفجار** ، قالوا يا رسول الله: أليس الله أحل البيع (التجارة)؟ ، قال ﷺ: «**بلى ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون**» [رواه أحمد وابن ماجة والحاكم] .

ومن الإعجاز الاقتصادي في الأحاديث السابقة أنه ﷺ

ربط علم الاقتصاد بالأخلاق فلا اقتصاد بلا أخلاق ، ولقد ربى رسول الله ﷺ التجار والمتعاملين بصفة عامة على وجوب الالتزام بمكارم الأخلاق ، وكان للتاجر المسلم الملتزم بحسن الخلق دورًا مهمًا في نشر الإسلام في البلاد التي كان يرتحل إليها للتجارة ، وبذلك يكون قد سبق هدي الرسول ﷺ علماء الاقتصاد الوضعي الذين يطالبون الآن بضرورة ربط الاقتصاد بالأخلاق .

ويتجلى ذلك الإعجاز الاقتصادي من هديه ﷺ بوضوح في حياتنا اليومية عندما نجد أن الناس يفضلون في التعامل مع التجار المتحلين بالأخلاق الفاضلة ويسعى إليهم الأفراد من أقصى الأماكن لعلمهم بأنهم لا يغشون ولا يخدعون في معاملاتهم ، وفي هذا تنمية اقتصادية .

* وجوب الاعتدال في الإنفاق:

أمر الرسول ﷺ بالاقتصاد في الإنفاق (الاعتدال) وتجنب الإسراف والتقتير ، كما نهى عن التبذير ، ويعتبر الاعتدال والوسطية من موجبات استقرار الحياة الرغدة ، فقال ﷺ: **«ما عال من اقتصد»** [رواه أحمد] ، وقال ﷺ: **«من فقه الرجل قصده في المعيشة»** [رواه أحمد] ، وقوله ﷺ: **«وفي الاقتصاد نصف المعيشة»** [رواه أحمد] ، كما أمرنا أن يكون الإنفاق في حدود السعة والإمكانية ، ولا اقتراض إلا لضرورة .

يعتبر القصد في الإنفاق من المفاهيم الاقتصادية الإسلامية التي يجب أن نربى أولادنا عليها ونطبقها على مستوى الأسرة والوحدة الاقتصادية والدولة لتجنب العجز والخلل في الميزانية ، وتحاول النظم الاقتصادية الوضعية تطبيق

هذا المفهوم ولاسيما عند الأزمات .

ومن الإعجاز الاقتصادي في هذه الأحاديث أنها تؤكد على أن أسباب العجز والذي يقود إلى الاقتراض أو التسول هو الإسراف والتبذير على جميع المستويات وهذا منهي عنه في الإسلام ولهذا يجب على المسلم تحقيق التوازن بين الكسب والإنفاق في إطار سلم الأولويات الإسلامية ، وعلى النقيض من ذلك نجد أن النظم الوضعية لا تفرق بين الخبز والخمر أو بين السكر والشيكولاتة .

* وجوب الادخار للمستقبل

حث الرسول ﷺ على الادخار لنوائب الدهر والفقر والحاجة والعِوَزْ ، وأوصى بأن نترك الورثة أغنياء خير من أن نتركهم عالة على الناس ، أعطوهم أو منعوهم ،ففي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: **«مرضت عام الفتح**

مرضًا ، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فقلت يا رسول الله: إن لي مالاً كثيرًا وليس يرثني إلا ابني أفأوصي بمالي كله ؟ قال: لا . فقلت: الشطر، قال: لا.قلت: فالثلث ، قال: الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس أعطوهم أو منعوهم» [متفق عليه].

وقال ﷺ: **«رحم الله امرأ اكتسب طيبًا ، وأنفق قصدًا ، وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته»** ، [عن عبادة بن الصامت]. ويشير هذا الحديث إلى ضرورة الكسب الطيب والاقتصاد في النفقات والادخار للمستقبل .

وتحاول النظم الاقتصادية التنموية الحث على هذا المفهوم بالأدوات والأساليب الاقتصادية المختلفة، حيث يعتبرون أن الادخار والاستثمار من أهم مقومات التنمية الاقتصادية ودعائمها الرئيسية لأن الاستثمار يغذي الدورة

الاقتصادية وهذا يقود إلى زيادة الدخل القومي .

* الحض على استثمار الأموال وتجنب الاكتناز

حض الرسول ﷺ على الاستثمار وتجنب الاكتناز وبَيّنَ العلة من ذلك وهي أن الزكاة تأكل المال غير المستثمر ، كما أمرنا ﷺ باستثمار أموال اليتامى لنفس العلة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الصدقة»** [رواه الطبراني في الأوسط – صحيح] ، ونَدَّد ﷺ بالاستثمار الربوي، وحض على الاستثمار الحلال بالصيغ الاستثمارية الإسلامية ، مثل: المضاربة ، والمشاركة ، والمزارعة ، والمساقاة ، ونحو ذلك ، وطبق ذلك عمليًا في حياته حيث شارك السيدة خديجة رضي الله عنها في التجارة بنظام المضاربة قبل الإسلام .

وتحاول النظم الاقتصادية المعاصرة حث الناس على

الادخار من خلال تخفيض سعر الفائدة وزيادة الإعفاءات الضريبية لتمويل التنمية ، ولكن للإسلام أساليبه وأدواته المتميزة للحث على الاستثمار منها: الزكاة ، وتحقيق الربح الحلال الطيب ، والاستثمار وفقًا لسلم الأولويات الإسلامية وهي الضرورات فالحاجات وتحريم الاستثمار في الترفيات ، ويرى علماء الاقتصاد أن النهي عن الاكتناز يعتبر إعجازًا اقتصاديا حيث يوفر سيولة لتمويل المشروعات ذاتيا ويجنب الاقتراض بفوائد .

* وجوب التقشف وقت الأزمات

لقد كانت حياة الرسول ﷺ عامرة بالعبر والدروس في السراء والضراء ، وكان من سلوكه الاقتصادي وقت الأزمات التقشف فكان نموذجًا للخشونة ، ومن أقواله المباركة ﷺ: **«اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم»** ، وعن عائشة

رضي الله عنها أنها قالت: «**ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض**» [رواه مسلم] .

وعن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: «**والله يا ابن أختي إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، وكنا نعيش على الأسودين (التمر والماء)**» [رواه مسلم] ، وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: «**لم يأكل النبي ﷺ على خوان (مائدة) حتى مات ، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات**» [رواه البخاري]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «لقد رأيت نبيكم رسول الله ﷺ: **وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه**» [رواه مسلم] .

ويقول عمر بن الخطاب: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير قال: فجلست فإذا عليه إزار وليس عليه

غيره ، وإذا الحصير قد أثر في جنبه الشريف وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية من الغرفة وإذا أهاب معلق فابتدرت عيناي ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما يبكيك يا ابن الخطاب؟** ، فقال يا نبي الله ، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك الشريف وهذه خزائنك لا أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزائنك! قال: رسول الله ﷺ: **«يا ابن الخطاب: أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا»** [رواه النسائي] ، ولقد روى مسلم عن النعمان بن بشير قال ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ: **«يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ به بطنه»** [رواه مسلم] .

وشتان بين حياة الرسول ﷺ وحياة حكام ورؤساء

المسلمين اليوم ، هم في القصور والسيارات والحرير والذهب والمكيفات ... ، ألم يعتبروا من حياة سيد الخلق رسول الله ﷺ ، ألم يستفيدوا من سلوكياته وقت الأزمات .

من الأحاديث والسيرة السابقة يتبين السلوك الاقتصادي المتميز لرسول الله ﷺ كفرد وكرب أسرة وقت الأزمات ، وهذا ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية ولا تمد يدها لتكون عالة على الغير .

* تجنب التخزين وقت الأزمات

ينهى الرسول ﷺ عن تخزين الطعام وقت الأزمات حتى لا يحدث الغلاء ، وهذا سلوك المستهلك الذي يحافظ على سلامة المعاملات في الأسواق ولا يسبب ضررًا لأحد ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على بلال رضي الله عنه وعنده صبر من تمر فقال: **«أما تخشى أن**

يكون لك دخان في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا» [رواه الطبراني] ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أهديت للنبي ﷺ ثلاثة أطيار ، فأطعم خادمه طائرًا ، فلما كان من الغد أتيته بهما ، فقال رسول الله ﷺ: **«ألم أنهك أن ترفع شيئًا لغد فإن الله تبارك وتعالى يأتي برزق غد»** [رواه البيهقي] .

ويستخلص من هذه الأحاديث عدم التخزين وقت الأزمات حتى لا يحدث غلاء في الأسعار.

ومن الإعجاز الاقتصادي لهدي الرسول ﷺ لتجنب غلاء الأسعار وقت الأزمات: عدم الشراء فوق الحاجة ، وعدم التخزين بدون ضرورة ، وهذا ما تقوم به بعض النظم الاقتصادية حيث تقوم بتوزيع السلع الضرورية والتي بها عجز عن طريق نظام البطاقات .

* وجوب حماية الملكية الخاصة والعامة

حض الرسول ﷺ على أن يحافظ المسلم على ماله ، وإن قُتل في سبيل ذلك فهو شهيد ، فقال ﷺ: **«من قتل دون ماله فهو شهيد»** [رواه مسلم] ، كما نهى عن الاعتداء على مال الغير واعتبر ذلك من المحرمات المنهي عنها شرعًا فقال ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه»** [رواه مسلم] ، وفي خطبة حجة الوداع قال رسول الله ﷺ: **«... إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ...»** [رواه البخاري ومسلم] ، كما أمر رسول الله ﷺ بالمحافظة على الملكية العامة التي ينتفع منها عموم المخلوقات ومنها الماء والكلأ والنار وما يدخل في نطاق ذلك ، فقال ﷺ: **«الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار»** [رواه أحمد وأبو داود] .

وهذا المفهوم الاقتصادي الذي يوجب المحافظة على الملكية الخاصة والملكية العامة من المفاهيم التي تسعى إليها معظم النظم الاقتصادية المعاصرة .

* تطهير الأسواق من المعاملات المحرمة

لقد أسس رسول الله ﷺ سوقًا للمسلمين في المدينة المنورة بعد بناء المسجد وذلك بعد تقوية روابط الأخوة بين المسلمين ، ومن وصاياه: أن تكون هذه السوق واسعة ولا يُفرض عليها الخراج **(الرسوم والضرائب الظالمة)** ، كما وضع دستورًا للمعاملات في تلك الأسواق بأن تكون خالية من الغش والغرر والجهالة والتدليس والنجش والتطفيف والكذب والربا والاستغلال والاحتكار وكل صيغ أكل أموال الناس بالباطل ، وكان ﷺ بنفسه يمشى في الأسواق للاطمئنان على أن التعامل فيها يتم وفقًا لأحكام ومبادئ

الشريعة الإسلامية ، ومن أقواله ﷺ المباركة للتجار: « **ليس منا من غش**» [رواه مسلم والترمذي].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ، التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**» [رواه مسلم] ، وقال ﷺ: «**لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض**» [رواه مسلم] .

وتحاول النظم الاقتصادية الوضعية تحقيق هذا المفهوم من خلال مواثيق الأخلاق في المعاملات ومن خلال سن

القوانين ووضع نظم التفتيش والرقابة على الأسواق .

* تحريم كل صور الربا

لقد حرم رسول الله ﷺ كل أنواع وأشكال الربا ، وكذلك كل الذرائع التي تؤدي إليه وأعطى النموذج العملي لذلك وهو تحريم ربا عمه العباس رضي الله عنه وندد بالمتعاملين بالربا وهددهم بأشد العذاب ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا: وما هن يا رسول الله ؟ ، قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»** [رواه البخاري ومسلم] ، كما لعن الرسول ﷺ كل المتعاملين بالربا فقال ﷺ: **«لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه»** [رواه

الخمسة] ، وقال ﷺ: **«إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»** [رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد] .

ومن الإعجاز الاقتصادي أن علماء الاقتصاد المعاصرين يرون أن الإصلاح الاقتصادي والتنمية لن يتحققا إلاّ إذا كان سعر الفائدة صفرًا ، أي إلغاء النظام الربوي وبذلك تحققت نبوءة سيدنا محمد ﷺ ومنهجه السليم في تجنب الربا من أجل التنمية الاقتصادية .

*** أداء فريضة الزكاة**

لقد أمر الرسول ﷺ الأغنياء ممن تتوافر في أموالهم شروط الخضوع للزكاة بأن يؤدوها تطهيرًا لقلوبهم وإصلاحًا لنفوسهم ، وتنمية لأموالهم ، فقال ﷺ: **«ما نقص مال من صدقة»** [رواه أحمد والترمذي] ، وبيّن أن من أسباب شقاء

الفقراء والمساكين بخل الأغنياء ومنعهم أداء زكاة أموالهم ، فقال ﷺ: لمعاذ بن جبل حين أرسله إلي اليمن: « ... **أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**» [البخاري ومسلم] ، وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم ، فإن منعوهم حتى يجوعوا ويعروا أو يجهدوا حاسبهم الله فيه حسابًا شديدا وعذبهم عذابًا نكيرا**» [حلية الأولياء] .

ومن الإعجاز الاقتصادي أننا نجد بعض الاقتصاديين المعاصرين ينتقدون نظم الضرائب المعاصرة حيث تعوق التنمية ويتجهون لفرض ضريبة على رأس المال بنسبة بسيطة تكاد تقرب من نسبة الزكاة وذلك لتحريك الأموال وتنميتها، كما يرون إعفاء بعض الاستثمارات في مجال الضروريات والحاجيات وهذا ما حث عليه الفكر الاقتصادي الإسلامي .

* الحث على الصدقات الجارية والتطوعية

لقد حث الرسول ﷺ على الصدقات بصفة عامة ومنها الصدقة الجارية التي تنفع المسلم بعد موته ، وبيَّن ﷺ أولويات إنفاقها على الأقارب واليتامي والمساكين ، كما اعتبر أن ما ينفقه الرجل على زوجته وأولاده من الأعمال التي يُثاب عليها ،فقال ﷺ: «**على كل مسلم صدقة** ، قالوا: أرأيت إن لم يجد؟ ، قال ﷺ: **يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق**» ، قالوا أرأيت إن لم يفعل ؟ قال ﷺ: **يعين ذا الحاجة الملهوف** ، قالوا: أرأيت إن لم يفعل ؟ ، قال ﷺ: **يأمر بالخير أو العدل** ، قالوا: أفرأيت إن لم يستطع أن يفعل؟ ، قال ﷺ: **يمسك عن الشر فإنه له صدقة**» [رواه البخاري ومسلم]، كما حث الرسول ﷺ على الصدقة الجارية ، فقال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» [رواه البخاري ومسلم] .

وهذا المفهوم يحقق التكافل الاقتصادي بين أفراد الأمة وينمي روابط العلاقة الاجتماعية وهذا يعتبر من الإعجاز الاقتصادي الذي يتميز به الإسلام .

* الحض على المشاركة في المعاملات

لقد حض رسول الله ﷺ على المشاركة في المعاملات وغيرها ، وكَوَّنَ رسول الله ﷺ بنفسه مع السيدة خديجة رضي الله عنها قبل الزواج منها شركة مضاربة ، قدمت هي المال وقدم هو ﷺ الخبرة التجارية ، وحققت هذه المشاركة الربح الطيب المبارك ، كما أوضح أن المشاركة بصفة عامة تحقق البركة ، ولقد ورد في الحديث القدسي قول الله عز وجل: **«أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما ، فإن خان أحدهما صاحبه خرجت من بينهما»** [رواه أبو داود] ، كما قدم ﷺ البديل الإسلامي لعمه العباس الذي كان يتعامل

بالربا قبل الإسلام وقال ﷺ له: **«ألا جعلته مضاربة»** أي تشارك التجار الذين تعطوهم المال في الربح والخسارة، ولقد ورد عن رسول الله ﷺ: العديد من الأحاديث عن الالتزام بالصدق والأمانة في المشاركة ، فقال ﷺ: **«من خان شريكًا فيما ائتمنه عليه واسترعاه ، فإني بريء منه»** [رواه البيهقي] وقال ﷺ: **«يد الله مع الشريكين ما لم يتخاونا ، فإن تخاونا محقت تجارتهما ، فرفعت البركة منهما»** [رواه أبو داود] .

وهذا المفهوم يؤكد فضل سبق الإسلام للعَالَم في وضع القواعد الأساسية للشركات ولقد أكدت الدراسات الاقتصادية أن الغرب قد أخذ نظم الشركات المعاصرة من التجار المسلمين الذين نشروا الإسلام في كل مكان ولا سيما في دول شرق أسيا وأفريقيا .

* تحريم التسعير الجبري إلاّ لضرورة شرعية

لقد رفض رسول الله ﷺ التسعير الجبري عندما طالبه الصحابة بذلك وقال: «**إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطالبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال**» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي] ، وحدد أسس تحديد السعر في السوق الحرة الطاهرة النظيفة عن طريق تفاعل الطلب الرشيد مع العرض الصادق وهذا ما تحاول النظم الاقتصادية المعاصرة التوصل إليه ، وعند الضرورة الشرعية أجاز الرسول ﷺ التسعير، ووضع قاعدة عادلة للمعاملات الاقتصادية قال ﷺ فيها: «**لا ضرر ولا ضرار**» [رواه أحمد وابن ماجة] .

يؤكد هذا المفهوم أن الأصل في المعاملات هو الحِلّ في ظل سوق حرة خالية من كل صور أكل أموال الناس

بالباطل، كما أجاز الفقهاء التسعير في حالة الاحتكار والتكتلات بدون وكس أو شطط ، وهذا المفهوم ما عجزت النظم الاقتصادية الوضعية المتخبطة تحقيقه حتى الآن .

* جواز التعامل مع غير المسلمين

لقد قدم رسول الله ﷺ نموذجًا عمليًا في جواز التعامل مع غير المسلمين غير المحاربين وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، فقد ثبت أنه ﷺ اشترى من يهودي طعامًا نسيئة (بالأجل) ، كما أنه رهن درعه عند يهودي ، فقد روى أنس رضي الله عنه ، قال: «**رهن رسول الله ﷺ درعًا عند يهودي بالمدينة وأخذ منه شعيرًا لأهله**»، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «**إن النبي ﷺ اشترى طعامًا من يهودي إلى أجل ورهنه درعًا من حديد**» ، وفي رواية أخرى قالت: «**توفى ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي**» (يرجع إلى فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي) .

وهذا المفهوم في المعاملات يبرز سماحة الإسلام ونظرته إلى غير المسلمين بروح الأخوة والبر والقسط والتعاون ، بعكس النظم الوضعية المعاصرة التي تظهر العداء السافر للمسلمين وتصفهم بالإرهاب والتعصب .

* ضرورة حماية الأصول الإنتاجية

لقد حث رسول الله ﷺ على عدم تبديد الطاقات الإنتاجية ومنها الأصول الثابتة ، فقال ﷺ: **«من باع دارًا ثم لم يجعل ثمنها في مثلها لم يبارك له فيها»** [رواه البخاري ومسلم] ، كما نهى عن ذبح الأنعام العاملة والمدرة للبن وما في حكمها ، ونهى الصحابي عن أن يذبح لضيوفه الشاة التي تحلب اللبن وقال ﷺ له: **«إياك والحلوب»** [رواه مسلم]

ويستنبط من هذه الأحاديث عدم انفاق ثمن الأصول الإنتاجية المباعة في مجال الاستهلاك وذلك للمحافظة على

استمرار الإنتاج وزيادته وهذا ما تحاول النظم الاقتصادية المعاصرة تشجيع رجال الأعمال عليه .

* تحريم الاحتكار

لقد حرم رسول الله ﷺ الاحتكار لأنه من طرق الكسب التي فيها ظلم واستغلال وتغرس في النفس البشرية الجشع وعدم الرضا ، ولقد ورد عنه العديد من الأحاديث النبوية الشريفة منها قوله ﷺ: **«لا يحتكر إلاّ خاطئ»** [رواه مسلم] ، وقوله ﷺ: **«من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه»** [رواه أحمد] ، وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: **«من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والإفلاس»** [رواه ابن ماجة] ، والعلة في تحريم الاحتكار أنه يقود إلى الظلم والكسب بدون جهد واستغلال حاجة الناس ولاسيما في مجال الضرورات والحاجات .

ومن الإعجاز الاقتصادي في الأحاديث السابقة أن الاحتكار يقود إلى غلاء الأسعار وإحداث خلل في المعاملات، وتحاول معظم دول العالم منع الاحتكار سواء احتكار الدولة كما هو الحال في النظام الاشتراكي ، أو احتكار الأفراد والشركات والتكتلات كما هو الحال في النظام الرأسمالي ، ولكنها لم تفلح ولن تفلح .

* تخفيض الأسعار للتيسير على الناس

لقد حض الرسول ﷺ التجار على تخفيض الأسعار للتيسير على الناس ابتغاء مرضاة الله وتحقيق البركة في الكسب ، فقال ﷺ: **«الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»** [رواه مسلم] ، ورفع رسول الله ﷺ الجالب إلى مرتبة المجاهد في سبيل الله ، فقال ﷺ: **«أبشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، وإن المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله»** [متفق عليه] .

كما نهى رسول الله ﷺ عن رفع الأسعار ، فقال ﷺ: **«من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقًا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة»** [رواه أحمد والطبراني في الأوسط] .

ومن الإعجاز الاقتصادي أن رسول الله ﷺ ندد بالذين يقومون برفع الأسعار دون حاجة ، وهذا المفهوم يتفق مع مفهوم المنافسة الحرة من أجل تخفيض الأسعار لجذب العملاء ومن سبل ذلك نقل السلعة من المنتج إلى المستهلك مباشرة وتقليل عدد الوسطاء ، وكذلك جلب السلع من الأماكن البعيدة بواسطة سبل النقل الرخيصة لتخفيض الأسعار .

*** تعقيب**

لقد عرضنا في الصفحات السابقة قبسا من هدي

الرسول ﷺ في مجال الاقتصاد ، وهذا يبرز الإعجاز الاقتصادي الحقيقي لمن كان له قلب سليم وعقل محايد ويجب على الفقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي أن يضعوا إطارا متكاملاً لهذا الهدي النبوي في صورة منهج يقدم للناس بطريقة موضوعية ودعوية لبيان عظمة الإسلام ولإثراء الفكر الاقتصادي الوضعي .

كما نوصي رجال الدعوة الإسلامية أن يبرزوا في خطبهم ورسالاتهم الموجهة إلى الناس الأبعاد الاقتصادية في حياة الرسول لبيان عظمته في بناء أعظم حضارة في جميع نواحي الحياة .

الفصل الثاني

مفاهيم اقتصادية مستنبطة من هدي الرسول ﷺ

يستنبط من الأحاديث النبوية السابقة وغيرها بعض المفاهيم التي تمثل الإطار الفكري والتطبيقي للمعاملات الاقتصادية في ظلال هدي الرسول ﷺ ، من أهمها ما يلي:

- الإيمان الراسخ بأن الله سبحانه وتعالى قد كفل الرزق للمخلوقات ، وأمرهم بالسعي في الأرض لطلبه ، ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها .
- وجوب الالتزام بالقيم الأخلاقية الفاضلة في المعاملات الاقتصادية لأنها من موجبات البركة والنمو .
- وجوب العمل الشريف وإتقانه وتحسينه وتجويده ابتغاء

الرزق الحلال الطيب ، والاستغلال الرشيد لما سخره الله سبحانه في السماء وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى من موارد طبيعية للإنسان .

- حق التملك وحماية الملكية سواء كانت خاصة أو عامة بضوابط شرعية على أن يكون مصدرها طيبًا حلالاً ، وتجنب الاعتداء على أموال الغير ، وكذلك تحريم الاعتداء على الملكية العامة .
- الاعتدال في الإنفاق ، وتجنب الإسراف والتقتير ، وتحريم التبذير والمظهرية ، وكذلك تجنب التنعم بدون ضرورة معتبرة شرعًا وتقليد غير المسلمين فيما يتعارض مع شرع الله .
- وجوب التوازن بين الكسب والإنفاق ، والحض على الادخار لنوائب الدهر ، واستثمار الأموال بالصيغ

الإسلامية وفق الضوابط الشرعية .

- تحريم الاكتناز لأنه يعطل المال عن القيام بدوره في تحقيق التنمية الاقتصادية ، وتعتبر الزكاة من أهم الوسائل للحث على الاستثمار .
- الحض على المشاركة في المعاملات لتحقيق التفاعل والتضامن والتكافل وتزاوج المعارف والخبرات ، وهذا من موجبات تحقيق البركة في المال .
- تحرير الأسواق وتطهيرها من المعاملات غير المشروعة بأن تكون خالية من الكذب والغش والتدليس والغرر والجهالة والاحتكار والربا والخبائث وكافة صور أكل أموال الناس بالباطل .
- الامتناع عن التسعير الجبري لتجنب الظلم إلا لضرورة معتبرة شرعًا وفق الظروف والأحوال .

- لا حرج من التعامل مع غير المسلمين غير المحاربين (المسالمين) وفوق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، ووجوب أولوية التعامل مع المسلمين .
- وجوب أداء فريضة الزكاة باعتبارها من موجبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأساس تحقيق العزة للمسلمين.
- الحض على الصدقات التطوعية والكفارات والنذور والصدقات الجارية وما في حكم ذلك لتحقيق الضمان الاجتماعي لمن هم دون الكفاية .
- وجوب حماية حق الأجيال القادمة في أموال الأجيال الحاضرة لاستمرارية النماء وتعمير الأرض في إطار نظام الميراث والوصايا والصدقات الجارية والصدقات التطوعية .

- وجوب المحافظة على علاقة الأخوة الصادقة والفعالة باعتبارها من مقومات تحقيق البركة .
- تفعيل التكافل الاقتصادي بين المسلمين باعتباره من أدوات التكافل الاجتماعي .
- تفعيل التكامل والتعاون الصادق بين أقطار الأمة الإسلامية لإعادة بناء السوق الإسلامية المشتركة في إطار الخلافة الإسلامية .
- التقشف وقت الأزمات والاعتماد على الذات وعدم اللجوء إلى الاقتراض إلا لضرورة معتبرة شرعا والتركيز على الضروريات والحاجيات وتجنب الكماليات .
- الاهتمام بالتنمية الروحية لأنها من البواعث والحوافز والدوافع لتحقيق التنمية الاقتصادية .

الفصل الثالث

لماذا تخلف المسلمون اقتصاديًا وعندهم هدي الرسول ﷺ

* ظاهرة تخلف الدول الإسلامية اقتصاديًا

تقع معظم الدول العربية والإسلامية في عداد الدول المتخلفة أو النامية، وتعيش عالة على الدول غير الإسلامية الملحدة العلمانية المادية الطاغية بالرغم من كثرة الموارد ووجود مقومات النهضة والتقدم بصفة عامة ، وهذه الظاهرة تحتاج إلى بيان الأسباب تمهيدًا لعلاجها .

ويلاحظ أنه عندما يقدم الاقتصاد الإسلامي بمفاهيمه وأسسه وما يتضمنه من إعجاز علمي مستنبط من كتاب الله العظيم وسنة رسوله ﷺ إلى الناس يتساءل علماء وكتاب

الاقتصاد الوضعي: لماذا تعاني معظم الدول الإسلامية من الفقر والتخلف؟ وكيف تطلبون منا تطبيق الاقتصاد الإسلامي وهو سبب تخلفكم؟، وكثيرًا ما يصوب الملحدون والحاقدون على هذا الدين مدافعهم وسهامهم ويقولون بأن الإسلام هو سبب التخلف والإرهاب والمصائب .

هذه الادعاءات والتساؤلات تحتاج إلى بيان الأسباب الموضوعية وتحليلها حتى يمكن إصلاح أنفسنا وندعو غيرنا .

يصعب في كتيب صغير أن نتناول بإسهاب قضية تخلف البلاد الإسلامية وعندهم أسس ومفاهيم اقتصادية تجمع بين الأصالة والمعاصرة وقادرة على تحقيق الحياة الرغدة للناس جميعًا ، ولكن نجتهد في وضع الخطوط الرئيسية لأسباب هذا التخلف ، على أن نتناول ذلك في دراسة أخرى في المستقبل .

* أسباب تخلف الدول الإسلامية اقتصاديًا

يرجع هذا التخلف – ليس إلى الإسلام – ولكن إلى عدم تطبيق مفاهيم وأسس ونظم الإسلام في إطار متكامل عقيدة وشريعة ، وأخلاقًا وسلوكًا ، وأداءً وأفعالا ، فالعيب ليس في الإسلام ولكن في المسلمين أنفسهم ، ويرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب من أهمها ما يلي:

* ضعف الباعث الإيماني والأخلاقي لدى كثير من المسلمين والذي يعتبر المقوم الرئيسي لتطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي .

* الجهل بفقه المعاملات وتوقف الاجتهاد فيه لمسايرته للقضايا الاقتصادية المعاصرة ، وصدق القائل: «**الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**» .

* انتشار الفكر العلماني في معظم الدول الإسلامية ،

وفصل الدين عن حلبة الحياة ، وتردد المقولة التي تقول: الاقتصاد هو الاقتصاد والتجارة هي التجارة ولا علاقة بين هذا وذاك .

* الغزو الفكري في مجال الاقتصاد والانبهار بالنظم الاقتصادية الوضعية ، ولاسيما لمن درسوا علوم الاقتصاد وغيرها في الجامعات غير الإسلامية .

* تفكك وتشرذم الدول الإسلامية و انتشار الخلاف بينهم وأصبحوا فرقًا وشيعًا وكان ولابد وأن يفشلوا في كل شيء ، وصدق الله القائل: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة: ٤٦] .

* طمس الهوية الإسلامية لدى معظم الحكام والأفراد والتقليد الأعمى للوارد من الدول غير الإسلامية دون تمييز بين ما يتفق مع أحكام الشريعة وما يتعارض معها،

وهذا أدى بدوره إلى البعد عن القرآن والسنة المطهرة ، وأصبح الإسلام غريبًا .

* تكالب أعداء الإسلام على مقدرات الأمة الإسلامية وثرواتها والنهب المخطط والمنظم ، وما زال ذلك قائمًا حتى الآن ، فأموال المسلمين في بنوك غير المسلمين ، وثروة نفط المسلمين في يد غير المسلمين ، وأسواق المسلمين مفتوحة لغير المسلمين وهكذا .

* انتشار النظم الدكتاتورية الظالمة في معظم الدول العربية والإسلامية إلاّ ما رحم الله ، وهذا بالتأكيد مخالف للإسلام ويقود إلى التخلف .

هذه الأسباب وغيرها قادرة على إحداث التخلف ، ولكي نتقدم لابد من الرجوع إلى الإسلام من جديد ونطبق مفاهيمه وأسسه ومبادئه ، ولابد لذلك من خطط وبرامج واستخدام أساليب التقنية المعاصرة .

الفصل الرابع

التطبيق العملي لهدي الرسول ﷺ في الاقتصاد

* الحاجة إلى خطط وبرامج عملية للتطبيق

يجب أن تتحول عاطفة حب الرسول ﷺ من مشاعر إلى شرائع لتكون حية في حياتنا بالاتباع، كما قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» ، وقوله ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**» ، وتعتبر سنة رسول الله ﷺ القولية والعملية والإقرارية التفسير والتطبيق العملي للقرآن الكريم والواجبة الاتباع، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ [النجم: ٣-٤] .

ومن ناحية أخرى يجب على فقهاء المسلمين وعلماء

الاقتصاد الإسلامي تحويل هدي الرسول ﷺ في مجال الاقتصاد إلى خطط وبرامج عملية حتى لا تكون مواعظ على المنابر أو محاضرة هنا وأخرى هناك ، أو ثقافة في المؤلفات فقط بل لابد من برنامج عملي ....!! .

* الإجراءات العملية للتطبيق

وتتمثل الإجراءات العملية لتطبيق هدي الرسول ﷺ في مجال الاقتصاد في الآتي:

أولا: يقوم كل مسلم بتطبيق مفاهيم الاقتصاد الإسلامي على نفسه ، ابدأ بنفسك وادع غيرك .

ثانيًا: تقوم كل أسرة بتطبيق مفاهيم الاقتصاد الإسلامي في كافة معاملاتها داخل وخارج البيت ، وتكون نموذجًا يُقتدى به في المجتمع .

ثالثًا: يقوم المجتمع بما فيه من وحدات اقتصادية وغير

اقتصادية بتطبيق مفاهيم الاقتصاد الإسلامي ويكون له برنامج يلتزم به .

رابعًا: تلتزم الحكومة بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، وأن تكون القوانين والقرارات والتعليمات مطابقة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية .

خامسًا: تلتزم الحكومات الإسلامية على المستوى العالمي بتطبيق مفاهيم الاقتصاد الإسلامي على الأقل فيما بينها حتى يسود هذا الاقتصاد العالم وتكون له الأستاذية .

إن تم تنفيذ هذا البرنامج نكون حقًا من الذين يحبون الرسول ﷺ عاطفة وعملاً ، ويتطلب ذلك المقومات الآتية:

١- تهيئة المجتمع لتطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي.

٢- إعادة صياغة مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي في صورة مجموعة من القوانين والقرارات والخطط

والبرامج للتطبيق .

٣- إعداد العنصر البشري الذي يتولى التطبيق .

* وصايا اقتصادية إسلامية

* أن تؤمن بأن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه .
* أن توقن بأن لك وقفة مع الله يحاسبك عن الكسب والإنفاق .
* أن تلتزم بالصدق والأمانة والسماحة والقناعة فذلك قوام التجارة .
* أن تأخذ بالأسباب لجلب الأرزاق مع حسن التوكل على الله وحسن التعامل مع الناس .
* أن تعمل في مجال الطيبات وتتجنب الخبائث فالله طيب

لا يقبل إلا طيبًا .

* تجنب التعامل بالربا حتى لا تقع في حرب مع الله ورسوله .

* كن معتدلاً في الإنفاق دون ترف أو مظهرية أو تقتير أو إسراف .

* أدِّ زكاة مالك فهي ركن وفريضة وعبادة وطهر للروح والنفس والمال .

* اكتب كافة معاملاتك ونظمها فإن الثقة والأخوة لا يغنيان عن التدوين والتوثيق .

* الاهتمام بالتربية الروحية لأنها قوام التنمية الاقتصادية.

* أن تكثر من الدعاء والاستغفار لأنهما من موجبات الأرزاق .

الخلاصة

تناولنا في هذا الكتيب البسيط قبسًا من هدي الرسول ﷺ في مجال الاقتصاد بأسلوب سهل مبسط يناسب غير المتخصص في مجال الاقتصاد ولاسيما رجال الدعوة الإسلامية الذين يُقَدّمون الإسلام للناس على أنه منهج حياة.

ولقد خلصنا إلى مجموعة من الثوابت والتي تمثل ركيزة الاقتصاد الإسلامي ، مع بيان جوانب الإعجاز فيها وتميزها عن ما يناظرها في الفكر الاقتصادي الوضعي .

ومن أهم معالم الإعجاز الاقتصادي في هدي الرسول ﷺ ما يلي:

* لقد تناولت سنة الرسول ﷺ وحياته جوانب اقتصادية قادرة على تحقيق التنمية المعنوية الروحية والتنمية الاقتصادية .

* لقد تناولت سنة رسول الله ﷺ محاور الفكر الاقتصادي من بداية اختيار مجال العمل والكسب إلى الإنتاج والمعاملات والاستهلاك والادخار والاستثمار وتوزيع العوائد ... حتى حماية حق الأجيال المقبلة في أموال الأجيال الحاضرة .

* يجمع هدي الرسول ﷺ في مجال الاقتصاد بين العبادات والمعاملات ، وبين الماديات والروحانيات ، وبين الأصالة والمعاصرة ، وهذا يتفق مع فطرة الإنسان.

* لقد كان رسول الله ﷺ نموذجا عمليا في تطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد كما وردت في هديه على نفسه وعلى بيته وعلى المجتمع الإسلامي وعلى مستوى العالم لأنه رسول الله إلى الناس جميعا .

* يرجع التخلف الاقتصادي لمعظم الدول العربية

والإسلامية إلى انحرافها عن القرآن دستورا وعن هدي الرسول ﷺ منهاجا ، ولن ينصلح حال هذه الدول إلاّ بما انصلح عليه حالها في صدر الإسلام .

* يجب على فقهاء الإسلام وعلماء الاقتصاد الإسلامي أن يقدموا الإسلام للناس بصورة موضوعية وعملية وليس فقط كثقافة وتاريخ .

* يجب أن يكون للمسلمين برامج عملية لتطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي على مستوى الفرد والأسرة والوحدة الاقتصادية والدولة ثم على مستوى الأمة الإسلامية .

والله سبحانه وتعالى يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

التعريف بالمؤلف

دكتور حسين حسين شحاتة

۞ دكتوراه الفلسفة في المحاسبة الإدارية من إنجلترا .

۞ استاذ المحاسبة والمراجعة بكلية التجارة جامعة الأزهر ، ورئيس قسم المحاسبة الأسبق .

۞ يُدَرِّس علوم : الفكر المحاسبي الإسلامي ، ومحاسبة الزكاة ، ومحاسبة الوقف ، ومحاسبة المصارف الإسلامية ، ومحاسبة التأمين والتكافل الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي بالجامعات العربية والإسلامية .

۞ محاسب قانوني وخبير استشاري في المحاسبة والمراجعة .

۞ خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية .

۞ مستشار مالي وشرعي للعديد من المؤسسات المالية والاقتصادية والمصرفية الإسلامية .

۞ مستشار لمؤسسات وصناديق الزكاة في العالم الإسلامي .

۞ مستشار لهيئة المحاسبة والمراجعة الإسلامية بالبحرين .

۞ عضو الهيئة الشرعية العالمية للزكاة .

۞ عضو المجلس الأعلى لنقابة التجاريين .

۞ الأمين العام لشعبة المحاسبين والمراجعين المزاولين .

۞ عضو مجلس إدارة نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر.

۞ شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العالمية في مجال المحاسبة، والفكر الاقتصادي الإسلامي ، والزكاة ، والمصارف الإسلامية ، وشركات الاستثمار الإسلامي ، والوقف .

۞ له العديد من المؤلفات في المجالات الآتية:

۞ الفكر المحاسبي الإسلامي .

۞ والفكر الاقتصادي الإسلامي.

۞ والفكر الإسلامي .

۞ وموسوعة فقه ومحاسبة الزكاة .

۞ موسوعة الأسرة المسلمة .

۞ ترجمت مجموعة من كتبه إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والإندونيسية والماليزية.

للاتصال بالمؤلف ت : ٠١٠/١٥٠٤٢٥٥ - ٢٨٧٢٨١٩ - ٢٦٠٩٠٢٨

ف : ٢٦٣٢٦٣٣ - ٢٨٧٩٦٥٧

E-mail: Drhuhush@Hotmail.com

فهرس المحتويات